

## جدل التسامح بين النص والواقع الاجتماعي

### دراسة في سوسولوجيا الخطاب واشكالية التأويل

م.م. حاتم راشد علي

جامعة القادسية / كلية الآداب / علم الاجتماع

ربما المعادلة التي نستخدمها هنا تختلف . الى حد ما . عما اعتادت عليه جملة من الكتابات المعاصرة . فالمفارقة هنا تكمن في قلب طرفي المعادلة ، فبدلا من ان يكون النص جامدا ، جعلناه متحركا ونرحل الجمود ، وسوء الفعالية للجماعات الدينية التي فشلت في تأصيل التسامح ، وهذا ما سنحاول ايضاحه في البحث . ان السؤال الذي نجعله محورا لحديثنا ينطلق من انفتاحية النص ، مقابل تشددية التعامل معه من قبل الجماعات الدينية . فلماذا لا يتم تأصيل المعاني والدلالات النظرية مثلا في بنية المجتمعات الاسلامية ؟ لاشك ان ليس هنالك تفسيرات يجمع حوله المسلمون ، والمشكلة هنا ليست كامنة في النص ذاته ، بقدر ما هي مرتبطة بمصالح تاريخية واجتماعية ، حولت الجدل حول النص الى جدل طوائفي وقبائلي ، كانت ولا زالت تبعاته ماثلة امامنا ، بل هي سبب انقسامية بنية المجتمعات الاسلامية . ولا عجب ، ان نرى تفسيرات المفكرين انفسهم يناقض بعضها بعضا ، لكنهم مع ذلك يمثلون فاعلين اجتماعيين ، يؤثرون في حركية الفعل الاجتماعي ، الذي بدوره يكون منقسما الى فعل منفتح ، يقبل بتعددية الادوار وممارسة السلوك الديني ، وفعل متشدد لا يقبل بما قلناه ، ومن هؤلاء المفكرين ، ابن كثير ، وابن تيمية ، في صف الفاعلين التشاؤمين ، وفي الجانب الثاني نرى العراقي الالوسي مثلا على الانفتاح الديني .

ان عملية بناء الفعل والسلوك في المجتمعات الاسلامية ، تأتي نتيجة لما يمكن وصفه بـ (سوق المصالح ) ، فليس هنالك ما يدعو . على الاقل من وجهتنا . ان الخلاف وتأويل المعاني سلبا ما بين الجماعات الاسلامية ، هو ليس حصيلة الخلاف النصي بالمطلق ، وانما دفع تلك الجماعات الى حلبة الصراع العالمي (العولمة) ، سواء بقصد او بدونه ، انما كشف لنا ، ان خيارات وبدائل تلك الجماعات لا تسعفها بشكل كافٍ ، للتعاطي مع مجمل المتغيرات المعاصرة ، ومن ثم ، ليس امامها سوى الارتداد والنكوص ، الى اشارة الصراع محليا وادارته بطرق تعسفية نحو بعضها البعض . فهل للنص هنا اساسا محوريا في تأجيج حالات الفعل الاجتماعي ؟ ان الاحتكام للنص ، اذا ما كان هنالك اقرار من البعض نحو ذلك ، ليس النص بحد ذاته ، وانما الاملاءات التي تسقط عليه ، فيستنطق رغما عنه ؛ ويصير الى فعل اجتماعي يراهن عليه ، ويأخذ ابعادا تحدد المسافات فيه من جديد حيال الجماعات الاخرى . هذه هي ابرز الافكار التي سنحاول بحثها وتأويلها في قادم الاوراق البحثية المزمع اعدادها لاحقا ..